

الباب الثالث

لمحة عن سورة يوسف

قبل ان يبحث الباحث في سورة يوسف ينبغي أن يقدم أولاً عن القرآن الكريم وهو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدتها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، أنزله الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغه لصحابته وهم عرب خلص فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها.¹ وسورة يوسف أحد السور القرآن التي سيبحثها الباحث في هذا الباب قسم الباحث هذا الباب إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول البحث عن سورة يوسف وأما الفصل الثاني عن مضمون سورة يوسف والفصل الثالث عن مزايا سورة يوسف.

الفصل الأول

تعريف سورة يوسف

1. تعريف سورة:

السورة من كلمة سار يسور بمعنى سور الحائط أو تسلق وأما السورة قال أحمد ورضن منور: المنزلة أو الفضل والعلامة وطال من البناء.² واصطلاحاً: فصل من الكتاب أو بعض من القرآن الكريم.³

1. مناع خليل القطان، في علوم القرآن، (الدياؤ: المملكة العربية السعودية، 1313 هـ/ 1973 م)، الطبعة الثالثة

ص، 1

2. أحمد ورضن منور، قموس المنور (أندونيسيا: فوستكا فرغرسف، 1997) الطبعة الرابعة عشر، ص: 677

2. تعريف يوسف:

يوسف عليه السلام هو يوسف بن يعقوب (اسرائيل الله) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وهو أحد اولاد يعقوب الاثني عشر ذكرا الذين ولدوا في فدان آرام أثناء رعاية غنم خاله (لابان) مقابل تزوجه ابنتيه, إلابنيامين فقد ولد في ارض كنعان بعد رحيله إليها. وكان يوسف رائع الجمال , محبوبا لدى أبيه, مما أثار حقد إخوته عليه وتآمرهم عليه, وقد رأى في منامه في صغره في سن السابعة عشرة سنة أو الثانية عشرة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له, فقص الرؤيا على أبيه, فبشره بالنبوة وتعبير الأحلام.⁴

3. تعريف سورة يوسف :

سميت سورة يوسف, لإيراد قصة النبي يوسف عليه السلام فيها⁵, وهي السور: الثانية عشرة من سور القرآن الكريم, وعد دآياتها مائة وإحدى عشرة, وكلماتها ألف وستمائة وحروفها سبعة آلاف ومائة وستة وستون وهي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء, وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب) وقاه عليه السلام من أنواع البلاء, من ضروب المحن والشدائد, من إخوته ومن الآخرين, في بيت عزيز مصر, وفي السجن وفي تآمر النسوة, حتى نجاه الله من ذلك

3. وهيبة الزحلين, التفسير المنير (بيروت: لبنان, دارالفكر المعاصر, 1141 هـ/ 1991 م) الطبعة الاول جمع: 12 ص: 19

4. وهيبة الزحلين, التفسير المنير (بيروت: لبنان, دارالفكر المعاصر, 1141 هـ/ 1991 م) الطبعة الاول جمع: 12 , ص: 190

5. الزحلين, التفسير المنير (بيروت: لبنان, دارالفكر المعاصر, 1141 هـ/ 1991 م) الطبعة الاول جمع: 12 , ص: 188

الضيق, والمقصود بها تسليية النبي صلى الله عليه والسلام بما مرّ عليه من الكرب والشدة, وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.⁶

وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه- فيما رواه عنه الحاكم وغيره-: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه والسلام, فتلاه عليهم زمانا, فقالوا: لو قصصت علينا. فنزل: (نحن نقص عليك) (يوسف 3/12) (الكهف: 13/18) فتلاه عليهم زمانا, فقالوا: لو حدثتنا, فنزل الله نزل احسن الحديث) (الزمر: 22/29). وقد نزلت بعد اشتداد الأزمة على النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة مع قريش, وبعد عام الحزن الذي فقد فيه النبي زوجته الطاهرة خديجة, وعمه أبا طالب الذي كان نصيرا له.⁷

نزلت هذه السورة بعد هود, وهي مناسبة لها, لما في كل من قصص الأنبياء, وإثبات الوحي على النبي صلى الله عليه والسلام. وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن. بأسلوب مختلف, ولمقاصد وأهداف متنوعة, بقصد العظة والاعتبار, إلا قصة يوسف عليه السلام, فلم تذكر في غير هذه السورة, وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل, للإشارة إلى مافي القرآن من إعجاز, سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها, وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان. قال العلماء: ذكر الله أفا صيص الأنبياء في القرآن, وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة, بألفاظ متباينة على درجات البلاغة, وذكر قصة يوسف ولم يكررها, فلم

6. محمد على الصابوني, صفوة التفاسير, (بيروت: لبنان, دارالفكر, 1241هـ/ 1002 م) ج: 2, ص: 34.

7. وهيبة الزحلين, التفسير المنير (بيروت: لبنان, دار الفكر المعاصر, 1411 هـ/ 1991 م) الطبعة الأولى ج: 11

يقدر مخالف على معارضة ما تكرر, ولا على معارضة غير المتكرر, والإعجاز لمن تأمل.⁸

الفصل الثاني

مضمون سورة يوسف

تضمنت هذه السورة قصة يوسف عليه السلام, بجميع فصولها المثيرة, المفرحة حيناً والحزنة حيناً آخر, فبدأت ببيان منزلته عند أبيه يعقوب وصلته به, ثم علاقته بإخوته (مؤامرتهم عليه, وإلقاؤه في البئر, وبيعه لرئيس شرطة مصر, وشراؤهم الطعام منه في المرة الأولى ومنحهم إياه دون مقابل, ومنعهم شراء الطعام في المرة الثانية إن لم يأتوه بأخيهم (بنيامين) وإبقاء أخيه بنيامين لديه في حيلة مدروسة وسرقة مزعومة, حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم, ثم تعريفه نفسه لإخوته), ومحنة يوسف وجماله الرائع, وقصة يوسف مع امرأة العزيز, وبرائه المطلقة, يوسف في غياهب السجون يدعو لدينه, بوادر الفرج وتعبي رؤيا الملك, توليته وزيراً للمالية والتجارة ورئاسة الحكم, إبصار يعقوب حين جاء البشير بقميص يوسف, لقاء يوسف في مصر مع أبويه وجميع أسرته.⁹

أضواء من التريخ على قصة يوسف عليه السلام:¹⁰

نسب يوسف:

هو يوسف بن يعقوب (اسرائيل الله) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وهو أحد أولاد يعقوب الاثني عشر ذكراً الذين ولدوا في فدان آرام

8. تفسير القرطبي, 118/9

9. وهيبة الزحلين, النفسى المنير ج: 12 ص: 189

10. النظر قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار 120 وما بعد ها.

أثناء رعاية غنم خاله (لابان)مقابل تزوجه ابنتيه, إلا بنيامين فقد ولد في أرض كنعان بعد رحيله إليها. قال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن يوسف فيما أخرجه أحمد والبخاري عن ابن عمر: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: "يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"

وكان يوسف رائع الجمال, محبو بألدى أبيه, مما أثار حقد إخوته عليه وتآمرهم عليه. وقد رأى في منامه في صغره في سن السابعة عشرة سنة أو الثانية عشرة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له, فقصّ الرؤيا على أبيه, فبشره بالنبوة وتعبير الأحلام.

القاء يوسف في البئر:

أخذته إخوته معهم إلى البرية بقصد السياحة واللعب, ثم ألقوه في البئر, وأخبروا أباهم كذبا أن الذئب أكله, فلم يقتنع الأب الصالح بكلامهم, واتهمهم بمكيدة أوقعوها فيه, ثم أنقذه الله بتعلقه بجبل دلو أدلي في البئر, ثم باعه آخذوه في مصر بثمن بخس, وادعوا أنهم اشتروه من سيده, باعوه لرئيس الشرطة وهو العزيز في محافظة الشرقية قرب بحيرة المنزلة, واسمه (فوطيفار) أو (أطفير) فأحبه وقال لامرأته زليخا: (أكرمي مثواه ..) وجعله صاحب أمره ونهيه, ورئيس خدمه والمتصرف في بيته, وتولاه الله تعالى بالهداية والتربية والتوفيق.

محنة يوسف:

وكان جماله الرائع سبب محنته, روى مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه واسلام قال: "فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن" فأحبته امرأة العزيز, وراودته عن نفسه, فأبى إيمانا بالله, وامتنالا لأمره, واجتنابا

لمنهياته، وتقديرا لأفضال زوجها عليه: (إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون) وامتنع همَّه بها لوجود البرهان عنده، وهو حرصه على الطاعة، والتمسك بأداب آبائه، لأن (لولا) حرف امتناع لوجود، امتنع الهم لوجود البرهان، كما في قوله تعالى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا، إن كادت لتبدي به، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) [لقصص 10/28] أي امتنع إبدائها بما في نفسها على ابنها، لوجود الربط على قلبها.
مكيدة امرأة العزيز:

ولما خابت في تحقيق رغبتها منه، حقدت عليه، كما هو شأن السادة عندما يخالفهم أحد الأتباع. ولما رأت زوجها لدى الباب يريد الدخول، لفقت عليه التهمة، وأفهمته أنه يريد بها بسوء، فكذبها يوسف الصديق، فاحتكم الزوج العاقل إلى القرائن: إن كان قميصه مزق من الأمام فهي الكاذبة، وإن مزق من الخلف فهو الصادق، لأن المقدم على المرأة يظهر أثر مقاومتها ودفاعها من الناحية الأمامية، والهاب من المرأة يظهر أثر لحاقها به من الخلف، فظهرت براءته، والتصقت التهمة بها، وأمر يوسف بكتمان الخبر، وأمرها بالا ستغفار لذنبها.

ومع هذا، شاع خبر امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة، ولامتها النساء، فأعدت لهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين، وآتت كل واحدة سكيناً، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن، فبهرن جماله، فقطعن أيديهن، وقلن: (ما هذا بشرا، إن هذا إلا ملك كريم) فعذرنا، ثم هددته بالسجن إن لم يستجب لها، وفشا أمره بين الناس، فرأى سيده أن يزجه في السجن، ليحمي سمعة امرأته.

دخول يوسف إلى السجن ودعوته لدينه فيه:

وأدخل يوسف السجن, ودخل معه السجن فتيان: إحداهما : رأس الخبازين عند الملك, والثاني: رئيس سقاته, فرأى الثاني في منامه أنه يعصر في كأس الملك خمراً, ورأى الأول أنه يحمل فوق رأسه خبزاً وطيراً تأكل الناس منه, وطلباً من يوسف تعبير الرؤيا.

فأظهر يوسف مقدرته على تأويل الرؤيا, ولكنه قدم لذلك بدعوته السجناء إلى توحيد الله, قائلًا لصاحبيه: (أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟) وقال للساقي: إنه يسقي ربه خمرا, وقال للآخر: إنه سيصلب, فتأكل الطير من رأسه. وتأمل يوسف الفرج وقال لمن ظن أنه ناج منهما: (اذكريني عند ربك, فأنساه الشيطان ذكر ربه, فلبث في السجن بضع سنين).
رؤيا الملك:

ثم رأى الملك أن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف, وسبع سنابل خضراء حسنة في ساق واحدة يأكلهن سبع يابسات, فدعا بالسحرة لسؤالهم عن تأويل المنام, فقالوا : أضغاث أحلام, وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.
فتذكر ساقي الملك يوسف في السجن, فعرض الأمر على الملك, فوافق على أن يرسله إلى السجن ليأتي له بالتفسير الصحيح للمنام, فجاءه فيه, ثم عاد بالجواب إلى الملك, فقال الملك: ائتوني بيوسف, فأبى يوسف الخروج من السجن, حتى بظهر براءته وحقيقة أمره مع النساء, فأحضر هن الملك, وسألهن عنه, قلن: حاشا لله ما علمنا عليه من سوء, وأقرت امرأة العزيز (زليخا) ببراءته, وقالت: (الآن حصحص الحق, أنا راودته عن نفسه, وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب, وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وما

أبرئ نفسي, إن النفس لأمارة بالسوء, إلا مارحم ربي, إن ربي غفور رحيم) وآية: (وما أبرئ نفسي...) من قول امرأة العزيز, لا من قول يوسف كما يذكر بعض المفسرين خطأ.

خروج يوسف من السجن إلى القصر:

وخرج يوسف من السجن بريئا من التهمة, وسأله الملك عن أي عمل يرضاه لنفسه؟ فقال يوسف: (اجعلني على خزائن الأرض) فجعله على كل أرض مصر, وصاحب الأمر والنهي, ووزيرا للمالية والتجارة ورئاسة الحكم, وجعل خاتمه في يد يوسف الذي أصبح عمره ثلاثين سنة. طلب إخوة يوالطعام منه:

ومرت السنوات السبع المخصبة, ثم جاءت السبع المجذبة, فباع يوسف المصريين من مخازن القمح التي كان قد ادخرها أثناء الخصب, ثم جاءه أهل فلسطين, وأرسل يعقوب أولاده مع الجمال والحمير لحمل الطعام من مصر, فلما قدموا عرفهم يوسف ولم يعرفوه, إذ أصبح في سن الأربعين, وطلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أيهم مرة أخرى, وأعطاهم الطعام بلائمن, ليأتوه بأخيهم, دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن, ووضع نقودهم في أوعيتهم: لأنهم سيعودون بها إليه: لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم.

ولما اشتد القحط بأهل فلسطين, سمح يعقوب بسفر ابنه (بنيامين) مع إخوته, فلما قدموا أحسن يوسف ضيافتهم واستقبالهم في حفل غداء ظهرا, ولكنه لم يأكل معهم جريا على عادة المصريين الذين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة, وأخبروا خادما ليوسف أنهم عادوا بالفضة ثمن الطعام سابقا, وبفضة أخرى لشراء القمح.

حيلة يوسف في إبقاء أخيه عنده

أمر يوسف بتجهيز أخوته من الطعام, وأمر أن توضع فضة كل واحد في عدله, وأن يوضع صواع الملك في رحل أخيه بنيامين, وعندما عزموا على المسير, نودوا بأنهم سرقوا سقاية الملك, وان من سرقه فهو فداؤه في قانون الملك. ففتشت أعداهم, ثم أخرج الصواع من عدل بنيامين, فتوسطوا لدى الملك واسترحموا أن يأخذ أحدهم بدلا عنه؛ لأن له أباشيخا كبيرا, فابي, فقالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل, فأسرها يوسف في نفسه, وعال لهم : أنتم شر مكانا من هذا السارق.

وسرقة يوسف الزعومة

أن أمه ماتت وهو صغير, فكفلته وعمته, ولما أراد أبوه أن يأخذه منها, ألبسته منطقة لإبراهيم كانت عندها, وأخفتها تحت ثيابه, ثم أظهرت أنها سرقت منها, ثم أخرجتها من تحت ثيابه, وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة, جزاء له بما صنع.

فلما قدم إخوة يوسف على أبيهم يعقوب ما عدا أكبر هم وأصغرهم, أخبروه بما حدث, فازداد حزنا حتى ابيضت عيناه, وتذكر يوسف فقال: ياأسفا على يوسف.

تعارف الإخوة ولقاء الأسرة:

ثم جاء إخوة يوسف إلى مصر في المرة الثالثة, وطلبوا إمدادهم بالطعام, لما تعرضوا له من الضر (الجوع) قائلين: و جئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة, كما طلبوا إطلاق سراح أخيهم, فذكرهم يوسف بإساءتهم القديمة قائلا: (هل

علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ أنتم جاهلون) فعرفوا أنه يوسف: (قالوا: أئنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي، قد منّ الله علينا...).

وأعطاهم قميصه لإلقائه على وجه أبيهم، والإتيان بأهله أجمعين إليه، فلما وصلوا فلسطين ألقوا القميص على وجه يعقوب، فارتد بصيرا، وبشره البشير بسلامة يوسف وأخيه.

فجاء يعقوب وآله إلى مصر، فأوى يوسف إليه أبويه: يعقوب وزوجه نخالة يوسف، لموت أمه وهو صغير، وسجد له أبوه وأمه وإخوته الأحد عشر سجود تحية وتعظيم، لا سجود عبادة، وتلك هي تأويل رؤياه السابقة بسجود أحد عشر كوكبا له مع الشمس والقمر، وكان هذا اللقاء فرحة كبرى للأسرة برئاسة يعقوب، استوجبت من يوسف إعلان شكر الله تعالى على نعمه عليه، من العلم والملك، وطلب من الله تعالى أن يتولاه في الدنيا والآخرة، وأن يتوفاه مسلما أي مطيعا لله، غير عاص، وأن يلحقه بال صالحين من آباءه الأنبياء.

الفصل الثالث

مزاي سورة يوسف

بعد ان طالع الباحث عدة من الكتب التي تتعلق بسورة يوسف وجد أنّ لها مميزات منها:

1. من ناحية الفضيلة:
فضيلة القرآن:

كقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ.¹¹

وفي الآية اخرى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ¹²

وفي الآية اخرى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا¹³
ينبغي لطلبة القرآن باخلاق القرآن يعنى باخلاق القرآن الكريم
في حياة الدنيا مثل رسول الله صل الله عليه والسلام لرضى الله تعالى.
- وأما فضيلة سورة يوسف: مضمون قصة يوسف في سورة ثانية
عشر من سور القرآن منذ نزلها في زمن رسول الله صلى اله
عليه وسلام حتى يوم الدين.

لا نها تضمن فيها قصة يوسف واخوته واييهم. واسلوب قصة
يوسف مختلف باسلوب قصص الانبياء اخرى يعنى قصة يوسف في سورة
واحدة. واما قصص الأنبياء اخرى فتوضح في كثرة السور من القرآن
مضمن قصة يوسف مخبلف بقصص الأنبياء اخرى اصابه الله على قصص
الأنبياء اخرى الى انواع المصيبة من قومهم ثم ينتهى القصة على الإهلاك
الظلمين الى الأنبياء. واطهرالله في قصة يوسف العقيية الصالحة من الصبر
وأن مع العسر يسرا. كقول تعال(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا¹⁴) وكان الله اصاب يعقوب العمى في عينه وانفرق عن يوسف,

11. القرآن, سورة, فاتر آية : 29

12. القرآن سورة الأعراف آية : 204

13. القرآن سورة محمد آية : 24

14. القرآن سورة ألم نشرح آية : 5-6

واما يوسف فاصاب الله بـمتمفرق مع أبيه وأميهِ وغيابت الحب وبيعه
التجار عبدا ثم اصاب الله بكيد المرأة الجميلة والسيدة وانتهى الشيء
بدخول يوسف فى السجن كما فى الفصل الثانية ثم يسلم الله يوسف وأباه
من انواع المصيبة ويعيد يوسف الى أبيه.

- من ناحية التاريخ

سميت سورة يوسف فنزلت السورة. قال سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه فيما رواه عنه الحاكم وغيره أنزل القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زماناء فقالوا لوقصصت علينا فتزل (نحن
نقص عليك) يوسف : 3/132 والكهف 13/18 فتلاه عليهم زماناء
فقالوا لوحدينا فتزل (الله نل أحسن الحديث) الزمر 23/39 وقد نزلت
بعد اثنتا الأزيمة على النبي صلعم فى مكة قريش. وعد عام العذن الذى
فقد فيه النبي زوجته الطاهرة خديجة وعمه أب طالب الذى كانصيراله.

روي فى سبب نزول أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود وتبا حثوا
فى شأن محمد صلعم فقال لهم لا يهود سلوه لم يتقال آل يعقوب من الشام
إلى مصر وعن قصة يوسف فتزلت وبالرغم من أنها سورة مكية فأسلوبها
هادى ممتح مصطبغ بالأنس والرحمة, واللفظ والسلامة لا يحمل طابع
الإيذار والتهديد كما هم الشأن العالب فى السورة المكية قال عطاء لا
يسمع سورة يوسف محزون لإستراح إليها. وروى التيهقي فى الدلائل عن
ابن عباس أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلعم يتلو هذه
السورة أسلموا لموا ففتها ما عند هم.¹⁵

15. الزحلين, التفسير المثير (بيروت: لبنان, دارالفكر المعاصر, 1141 هـ/ 1991 م) الطبعة الاول جمع: 12, ص: